التراث العربي
سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر
في الكويت
- ١ -

كتاب الذخائر والتحف

للقاضي الرشيد بن الزبير
(القرن الخامس الهجري)

حققه عن نسخة فريدة
الدكتور محمد حميد الله

قدم له وراجعه
الدكتور صلاح الدين المنجد

الكويت ١٩٥٩

فاتحة السلسلة

التراث العربى المكتوب الذى خلفه العرب واسع غزير ملأ خزائن الكتب في الشرق والغرب

وهو تراث غنيّ فيه أصالة الأمة العربية ومجدها وحضارتها ، وكان رائداً ومعلما للإنسانية خلال قرون .

ولقد أصيب هذا التراث بالنكبات فتفرق وتبعثر . وابتعد العرب عنه حتى جهلوه فكادوا أن يجهلوا ماضيهم ، وحضارتهم ، وسرّ أصالتهم .

فكان لا بد إذن من العودة إلى هذا التراث ، وكان لا بد من جمعه وإحيائه .

أمام هذه الحاجة الماسة . رأت إدارة المطبوعات والنشر أن تسهم في نشر التراث العربى وكشفه .

وها هى ذى تقدم سلسلة من نوادر ما ألفه العرب باسم التراث العربى — تهدف إلى توضيح ملامح حضارتنا ، والكشف عما غمض من تاريخنا .

وقد استعنا في مشروعنا هذا بالأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد ، مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وسيشارك في تحقيق الكتب المنتقاة كبار العلماء والمحققين .

ولعل عملنا هذا يكون لبنة في بنـــاء نهضة العرب الحديثة ، وخدمة للعرب في كل مكان .

الكويت ١ / ٧ / ١٩٥٩ — رئيس دائرة المطبوعات والنشر

تصـــدير

للاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

في هذه الفترة المضطربة من تاريخنا الحديث ، التي ظهرت فيها يقظة العرب . وبدأت جهودهم لاستكمال وعيهم واستواء نضجهم ، ورسخ إيمانهم بأصالة ميراثهم الروحي وضرورة إحياء رسالتهم . رسالة العدل والعلم والسلام والمحبة . في هذه الفترة ، يلتمس العلماء والقادة تراثنا العربي القديم . ليفيدوا مما تضمنه من تجارب الأمة العربية في مختلف الميادين ، ويستمدوا منه الهدى في بناء الحاضر والمستقبل . فإذا هم يجدونه أغزر تراث مكتوب خلفته أمة ذات حضارة ، يعد بالملايين ، لكنه مبعثر في أقطار الأرض لا ينتفع به عن قرب . مخطوط لا سبيل إلى قراءته بيسر .

لقد بذلت جهود ضئيلة لجمع هذا التراث والانتفاع به . فمنذ عشر سنوات خلت ، أنشأت جامعة الدول العربية معهد المخطوطات . فكان أجرأ وأنفع عمل ثقافي قامت به إلى اليوم . وسرعان ما تقدم المعهد حتى أصبح مركزاً دولياً يرجع إليه علماء العالم في كل ما يتصل بالتراث القديم . ومع ذلك فان المعهد ما يزال في أول الطريق . لأن التراث العربي الذي يعد بالملايين ، هو أضخم وأعظم من أن يقوم بجمعه وبنشره معهد واحد ، يعمل ضمن حدود وقيود . فلا بد إذن من أن تعنى الحكومات العربية كلها بجمع التراث ، ولا بد لها من أن تنفق على حفظه ونشره . وأن تكون عنايتها به كبيرة ، ويكون بذلها سخيا . كما تعنى وتنفق في مشروعات مادية أخرى . إن المادة وحدها لا تخلق الأمة ، ولا بد من القيم الروحية المتوارثة لخلقها . وإن المستقبل لا يقوم إلا على الماضي .

لذلك كان إقدام إدارة المطبوعات والنشر على إحياء تراثنا العربى عملا جليلا موفقا . سيجد فيه علماء العرب فاتحة ما كانوا ينتظرونه من حكوماتهم . وإنه يستحق أعظم الثناء لأنه إسهام في نهضة العرب ، وخدمة لهم في جميع الأقطار .

*

ستهدف هذه السلسلة إلى أمرين :

الأول : خدمة الحضارة العربية . فتكون حلقاتها مما يفيد في تأريخ العرب . التأريخ بمعناه العام الشامل في تسجيل جميع مظاهر النشاط في الأمة العربية .

والثانى : إخراج الكتب التى يحتاج إليها العلماء والباحثون في دراساتهم وابحاثهم ، والمثقفون لاتمام ثقافتهم .

وسيكون نهجها في تحقيق الكتب النهج الذى وضعه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، فاتبعه كثير من العلماء والناشرين ، وترجم إلى عدة لغات أوروبية ، لأنه نهج بسيط سليم واضح .

*

وهذا الكتاب الذى تفتتح به سلسلة « التراث العربى » كتاب نادر فريد ، لم يعن بموضوعه إلا القلائل من مؤلفينا . وهو يدور على أمرين هامين :

الأول : الحضارة الاسلامية العربية تبدو من خلال الذخائر والتحف التى وجدت في قصور الخلفاء والملوك والولاة والقواد والناس . والهدايا التى تبادلوها ، والولائم التى أقاموها .

والثانى : الصلات الدبلوماسية بين ملوك العرب وملوك أوروبة والهند ، والرسائل التى تراسلوا بها ، والتحف التى تهادوها .

فالكتاب في ناحيته الأولى يقدم مواد خصبة لدراسة الحضارة العربية الاسلامية في جوانبها الاقتصادى والفنى والخلقى ، ويظهر عبقرية العرب

والمستعربين في الابداع الفني . وهو في ناحيته الثانية يكشف لنا صفحات جديدة عن عز العرب وصلاتهم بملوك الأرض .

والناحيتان مهمتان ، وكلتاهما جديرة بالعناية .

وثمة شأن آخر للكتاب يبدو في أن مؤلفه شاهد بنفسه وسمع بعض ما كتبه ، مما كان في عصره ، وأنه استمد البعض الآخر من مصادر مفقودة لا نجدها بين أيدينا . الأمر الذى جعله مرجعاً في هذا الباب الحضارى . فنقل عنه المقريزى وابن تغرى بردى ، والقلقشندى ، والغزولى وغيرهم .

*

أما محقق الكتاب الأستاذ الدكتور محمد حميد الله فهو من كبار العلماء الذين وقفوا حياتهم لاظهار محاسن تراث العرب والاسلام في مؤلفاته ومحاضراته ومقالاته . أتيح له أن يتقن ما يقرب من عشر لغات حية ، شرقية وغربية ، وكان أستاذاً ، أصيلا أو زائراً ، في جامعات الهند وألمانية وفرنسة وتركية ، وألف كتابه الشهير « الوثائق السياسية في عهد النبي والخلفاء الراشدين » فأصبح مرجعاً كلاسيكياً في تراثنا الحديث ، وحقق الأول من « أنساب الأشراف » للبلاذرى الذى أخرجته جامعة الدول العربية ، كما حقق قطعة من كتاب « النبات » للدينورى ، وهو مصدر لغوى لا تقدر قيمته . هذا إلى تواليف ومقالات كثيرة نشرها بالانكليزية والفرنسية والألمانية والعربية .

*

لقد حقق الدكتور حميد الله هذا الكتاب عن نسخة فريدة . فقوّم نصوصه — على صعوبتها — ، وحقق الألفاظ الحضارية فيه على كثرتها .

وزاد في صعوبة التحقيق ، أن المخطوطة فريدة لم يقع المحقق على أخت لهـا . ومع ذلك فقد بذل أكبر الجهد وأنفق كثيراً من الوقت ، ليكون النص صحيحاً أقرب ما يكون إلى الصحة .

ورغم الجهد الكبير الذى بذله فما تزال ألفاظ غامضة تحتاج إلى بحث الباحثين لأنها ألفاظ حضارية لم تعن المعاجم بتسجيلها . يكشف الكتاب عنها أول مرة .

ولقد تكرم فقبل أن أساعده في بعضه . وأراجعه . فكان في ذلك مثال العالم المؤمن المخاص المتواضع الذى لا يهدف إلا إلى الحقيقة .

*

وليست هذه السلسلة كل ما نرجوه من حكومة الكويت لخدمة التراث العربى . ولكنها خطوة . نأمل أن تتبعها خطوات .

القاهرة ١٩٥٩

صلاح الدين المنجد

مقدمة المحقق

المخطـــــوطة

لم نعثر إلى الآن إلا على مخطوطة واحدة لهذا الكتاب . وهي في مكتبة ببلدة « أفيون قره حصار » في تركيا . سنفصل مزاياها فيما بعد . كتب الناسخ عنوانها : « كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك وهو كتاب مليح مفيد (في با) به » وتحته بخط خفي : « بخط المولى إبراهيم بن محمد بن آيدمر العلائي الشهير بابن دقماق رحمه الله » . كأنه ثبت بعد وفاة ابن دقماق في سنة ٨٠٩ هـ .

المؤلف

أما اسم المؤلف ، فقد كتب مدون فهرسة « أفيون قره حصار » في العصر الحديث : « للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن حسن الأوحدى المقرئ الشافعي » . وخلا هذا ، لم يذكر اسم المؤلف أبدا ، لا في الكتاب ولا في الصفحة الأولى . وسبب إذعان مدون الفهرسة ، فيما نظن هو أن الكتاب يحتوى على ذيل في آخر المخطوطة . وفي أوله : « زيادات على ما وجد من كتاب الهدايا والتحف اختارها صاحبنا الأمير الأجل شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى المقرئ الشافعي » .

بعد بحث وتفكير ، نرى أن استنباط مدون الفهرسة صحيح. ولعل الاسم الذي يمكن أن نسمي به هذا الكتاب هو « المنتخبات من كتاب الذخائر والتحف — للقاضي الرشيد أبي الحسن أحمد ابن القاضي الرشيد بن الزبير . انتخبها الأوحدى » ولهذا الرأى أسباب ، نفصلها فيما يلي :

إن الأوحدى توفي في السنة ٨١١ للهجرة (١٤٠٨ م) . كما ذكر السخاوى وابن العماد . ومن معاصريه ابن دقماق (ناسخ المخطوطة المتوفي سنة ٨٠٩)

والغزولي (المتوفي ٨١٨ ﻫ) ، والمقريزي (المتوفي ٨٤٦ ﻫ) . ولهذين الأخيرين أهمية لتعيين اسم المؤلف الأصلي للكتاب .

فعلاء الدين على بن عبد الله البهائي الغزولي ، مؤلف « مطالع البدور في منازل السرور » الذى طبع في مجلدين بمصر (مطبعة الوطن ١٢٩١ — ١٣٠٠ﻫ) نقل ثماني مرات على الأقل عن كتابنا ، فقال :

١) « الباب العاشر في الفرش والمساند والأرائك . ذكر القاضي الرشيد ابو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب العجائب والطرف والهدايا والتحف... » (ج ا ، ص ٥٨) .

٢) « القاضي الرشيد ... » (ج ا ، ص ٦١) .

٣) « قال الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف . . . »(ج ا . ص ١٣٨) .

٤) « وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف . . . » (ج ا ، ص ٢٣٣) .

٥) « ومن التحف النفيسة ما ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف . . . » (ج ٢ . ص ٤٠) .

٦) « ذكر القاضي الرشيد بن الزهير — (كذا ههنا وهو تصحيف) — في كتابه العجائب والتحف . . . » (ج٢ . ص ٦٥) .

٧) « الرمح . ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف. . . » (ج ٢ . ص ١٦٢) .

٨) «ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف . . . » (ج ٢ ، ص ١٨٩) وماعدا الاقتباس الرابع ، جميع هذه الملتقطات توجد في كتابنا لفظا لفظا .أما فقدان الاقتباس الرابع في مخطوطتنا . فنستنتج منه أن

مخطوطتنا ليست بكامل كتاب العجائب والطرف (أو الظرف) ، بل منتخبات منه . وقد ذكر الغزولى بضعة اقتباسات أخرى بدون ذكر المصدر ولكن هي أيضا مأخوذة من كتابنا من غير اختلاف في لفظ الرواية . وعلى هذا الأساس . يوجد في كتاب الغزولى « الباب الثامن والثلاثون في الهدايا والتحف النفيسة الأثمان » . تمتد على سبع صفحات . ومن الحكايات التسع والعشرين المذكورة فيه — بدون ذكر المأخذ — يوجد في كتابنا إحدى وعشرون إما بلفظها . وإما ملخصاً . ومن المحتمل أن الحكايات الثمانية غير المذكورة في مخطوطتنا كانت أيضاً كلها أو بعضها في أصل كتابنا ، حذفها الأوحدى .

والمعاصر الثانى هو المؤرخ الشهير المقريزى . وقد ذكر في كتاب الخطط مرات عديدة :

١) « وقال في كتاب الذخائر : عدة الخزائن التى برسم الكتب . . . » (ج ١ . ص ٤٠٨) .

٢) « وقال في كتاب الذخائر : وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز . . . » (ج ١ . ص ٤١٣) .

٣) تكررت عين العبارة السالفة . (ج ١ ، ص ٤١٦) .

٤) « خزائن الفرش والأمتعة . . . قال في كتاب الذخائر . . . » (ج . ص ٤١٦) .

٥) « خزائن السلاح . قال في كتاب الذخائر . . . » (ج ١ ، ص ٤١٧) .

٦) « خزائن السروج . قال في كتاب الذخائر . . . » (ج١ ، ص ٤١٨) .

٧) « خزائن الخيم . قال في كتاب الذخائر . . . » ج ١ . ص ٤١٨) .

٨) « خزانة البنود . وقال في كتاب الذخائر والتحف . . . » (ج١ ، ص ٤٢٣) .

٩) « قافلة الحاج . قال في كتاب الذخائر والتحف . . . » (ج ١ . ص ٤٩٢) .

وأكثر هذه الاقتباسات توجد بلفظها في كتابنا ، والتي ليست عندنا تدل على أن كتابنا ليس بكامل ، بل يشتمل على منتخبات . (ويمكن تلافي بعض ما فات وضاع بواسطة هذين المصدرين : كتابي الغزولي والمقريزي) . ونرى أن المقريزي لم يسم أبداً في هذه الاقتباسات اسم مؤلف كتاب الذخائر والتحف ولكن يذكر هو (في ج ١ ، ص ٤٢٤) حكاية بدون صراحة المصدر — توجد عندنا في الفقرة ٣٧٦ — ثم روى عن « القاضي المهذب ابن الزبير » ، وكمل القصة بتفاصيل حذفها الأوحدي في كتابه . وفي رأينا أن كلمة « المهذب » في ذكر « القاضي المهذب ابن الزبير » صفة وليس بعلم . ككلمة « القاضي الرشيد » المذكورة في كتاب الغزولي .

ومما يجدر بالذكر أن الغزولي يسمى الكتاب « العجائب والطرف — أو الظرف — والهدايا والتحف » . أو يخففه ويسميه « العجائب والطرف (أو الظرف) » ؛ ولكن المقريزي يسميه « الذخائر والتحف » ، أو مخففا « الذخائر » فحسب . كأن الواحد اسم ، والآخر عرف . ولا ينسى عن خاطر القارئ أن اسم الكتاب على لوح مخطوطتنا « الذخائر والتحف » ، وفي آخر الكتاب كما في أول الزيادات « الهدايا والتحف » . والخط واحد. فهمااسمانلعين الكتاب.

القاضي الرشيد

أما القاضي الرشيد (أو المهذب) أبو الحسين أحمد بن الرشيد بن القاضي الزبير ، المذكور عند الغزولي والمقريزي ، فلم نعثر على ترجمته في الكتب المتداولة . ولكن الشهادة الداخلية تخبرنا عن عصره وبعض أحواله ، كما يلي :

١) « أهدى ميخائيل سنة ٤٤٤ مع رسول له . . . هدايا جليلة شاهدت جميعها بتنيس . . . » (الفقرة ٨٥ من كتابنا) .

٢) « أخبرنى خطير الملك . . . عند وروده إلى تنيس من الشأم في ذى القعدة سنة ٤٦٢ أن إقبال الدولة على بن مجاهد ، أحد ملوك الأندلس ، أهدى إلى المستنصر بالله . . . » (ف ٩٦) .

٣) « أهدى الأمير ناصر الدولة أبو على الحسن بن حمدان في سنة ٤٦٣ إلى أرمانوس متملك الروم المعروف بالديوجانس هدية . . . » (ف ١٠٥) « وحدثنى أبو الفضل إبراهيم بن على الكفرطابى بدمياط عند قدومه من قسطنطينية في شهور سنة ٤٦٣ أنه رأى على أرمانوس الديوجانس . . . » (ف ٢٦٣) .

٤) « وأعلمنى من له خبرة بما في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها . . . من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ٣٥٨ وإلى هذا الوقت زائد عن مائة سنة . . . » (ف ٣٧٥) فنعلم من جميع هذا أن مؤلفنا كان موظفا في دائرة استقبال السفراء في الدولة الفاطمية في السنة ٤٤٤ . وكأنه بقى يشتغل في هذا المنصب إلى وقت تأليف هذا الكتاب في سنة ٤٦٣ تقريبا . ولا يوجد أى حكاية أو ذكر في كتابنا سنة بعد سنة ٤٦٣ . وهذا يعين على تعيين عصر المؤلف .

وذكر في الفقرة (٨٧) : « ولما طلع الملك المعظم شاهنشاه سلطان دين الله وملك عباد الله وعضد خليفة الله أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ابن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه قلعة اصطخر . وكان (في) صحبته ولده الملك أبو على . . . وأما ولده . . . فأخذ قطعة ياقوت . . . ثم حملها إلى والدته . وكانت مخبأة عندها إلى وقت دخوله إلى طغرلبك ، فأهداها إليه ، ولم يكن معه سواها . ولا ما يتقرب به إليه غيرها » .

نستدل من استعمال هذه الألقاب المفخمة أن مؤلفنا كان في أول الأمر في خدمة أبى كاليجار . ثم لما انهدم بنيان الدولة البويهية ومات أبو كاليجار ، هاجر فتوطن في مصر وتوظف عند الفاطميين . ولعل سبب مغادرته مسقط

رأسه أنه كان شيعيا ، فلم يرد أولم يتمكن من البقاء في الدولة السلجوقية السنية. ومن المعروف أن هذا عصر المناقشات الشديدة والمجادلات الدموية بين أهل السنة وأهل التشيع في العراق وما والاها .

إن أبا كاليجار المزربان بن سلطان الدولة خلف جلال الدولة ، عند موته في سنة ٤٣٥ ، في إمرة الأمراء في بغداد . وأراد أن يحارب مع طغرل بك . فأرسل الخليفة القادر بالله إلى طغرل بك . (وكان السفير الامام الماوردى) ، فأصلح بينهما . (ابن الأثير ، ٩ - ٣٥٧) . ثم إن أبا كاليجار فتح بعد ذلك كرمان وإصفهان . ولكن لما هلك في وباء اثنا عشر ألف فرس من أفراسه في سنة ٤٣٩ ، «أرسل الملك أبو كاليجار إلى السلطان ركن الدين طغرل بك في الصلح . فأجابه إليه واصطلحا . وكتب طغرل بك إلى أخيه ينال يأمر بالكف عما وراء ما بيده ، واستقر الحال بينهما أن يتزوج طغرل بك بابنة أبي كاليجار ، ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرل بك ، وجرى العقد في شهر ربيع الأول من هذه السنة » (ابن الأثير ، ٩ - ٣٦٥ - ٣٦٦) . وتوفي أبو كاليجار الرابع من جمادى الأولى سنة ٤٤٠ في جناب ، في كرمان ، فنهب حرسه الأتراك معسكره . (راجع دائرة المعارف الاسلامية ، مادة أبو كاليجار) .

فمن المحتمل أن حكاية كتابنا ، المذكورة آنفا ، تتعلق بزواج أبي منصور ، وأن القاضي الرشيد غادر كرمان في السنة ٤٤٠ ، بعد وفاة أبي كاليجار .

ومما يذكر أن مؤلفنا القاضي الرشيد يسهو في ذكر الأسماء أحيانا ، وفي ذكر السنين أخرى ، خاصة فيما يتعلق بملوك الروم وقد أشرنا إليه في الحواشي في المواضع المتعلقة — منها ذكر ميخائيل ، في الحكاية التي اقتبسناها آنفا ، فراجعه ، هناك .

الأوحدى

إننـــا نعرف بعض أحوال الأوحدى . وهذا ما قالت المصادر(١) :

« سنة ٨١١ . . . وفيها توفي شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان بن عبد الله الأوحدى المقرئ الأديب . ولد في المحرم سنة إحدى وستين. وقرأ بالسبع على التقى البغدادى ، ولازم فخر الدين البلبيسى . قال ابن حجر : وسمع معى بعض مشائخى — وكان لهجاً بالتأريخ ، وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة وبيض بعضه وأفاد فيه وأجاد — وله نظم كثير ، منه :

انـــــــى إذا ما نابـــنى   أمـــــر نفـــــى تـــــلذذى
واشتـــــد مـــــنى جـــزعى   وجهـــــت وجهـــــى للذى

وتوفي في تاسع عشر من جمادى الآخرة » (شذرات الذهب لابن العماد ، مصر ١٣٥١ ، ٧ - ٨٩ — ٩٠) .

وذكر السخاوى أيضا ، فقال :

« أحمد بن عبد الله الأوحدى — نسبة لبيبرس الأوحدى ، نائب القلعة لكون جده لمـــا قدم من بلاد الشرق سنة ٧١٠ اتصل بخدمته وناب عنـــه بالقلعة فشهر به — القاهرى المقرئ الشافعى الأديب المؤرخ . ولد في المحـــرم سنة ٧٦١ ، وتلا بالسبع بل بالأربع عشرة على تقى البغدادى ، وكذا لازم الفخر البلبيسى الامام في ذلك اثنتى عشرة سنة . وسمع الحديث وطاف على الشيوخ الحراوى وجويرية ثم ابن الشيخة وغيرهم . وقرأ التيسير للدانى على السويداوى . ورافق شيخنا في بعض ذلك . وكتب بخطه ، وبرع في القراآت والأدب . وجمع مجاميع . واعتنى بالتأريخ وكان لهجا به . وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة . تعب فيها وأفاد وأجاد ، وبيض بعضها . فبيضها

---

(١) لفت نظرنا الي هذه المصادر الاستاذ روزنتل بواسطة الاستاذ دلا فيدا ، والاستاذ ريشر فلهم شكرنا الجزيل

التقى المقريزى . ونسبها لنفسه مع زيادات . وله نظم كثير . قال شيخنا : سمعت من نظمه وفوائده . وأنشد عنه قوله :

انى إذا ما نابني أمر نفى تلذذى
واشتد منه جزعى وجهت وجهى للذى

قال : وكتب عنه رفيقنا الصلاح الأقفهسى :

اغيد زاد في تباعده عنى فسقمى لأجله حاصل
مذ دام لى هاجرا بلا سبب ما زلت حتى عملته واصل

ونظمه سائر . ومنه :

رب قد ضاقت المسالك حرا
واعترانى هم برانى ضرا
فأجرنى من الهموم وهب لى
يا إلهى من عسر أمرى يسرا

وكان بزى الأجناد . قليل ذات اليد . مات في تاسع عشرمن جمادى الأولى سنة ٨١١ . ذكره شيخنا في معجمه وإنبائه وأثبت ابن الجزرى في ترجمة الفخر البلبيسى من طبقات القراء له قراءة هذا عليه. وكذا قرأت بخطه أنه يروى عن زينب ابنة محمد بن عثمان بن عبد الرحمن السكرى ابنة العصيدة . وفي ترجمته من عقود المقريزى فوائد . واعترف بانتفاعه بمسوداته في الخطط . وأنه ناوله ديوان شعره . قال : وكان ضابطا متقنا . ذاكرا لكثير من القراآت وتوجيهها وعللها . حافظا لكثير من التأريخ سيما أخبار المصريين . فانه لا يكاد يشذ عنه من أخبار ملوكها وخلفائها وأمرائها وقلع حروبها وخطط دورها وتراجم أعيادها إلا اليسير . مع معرفة النحو والعروض والنظم الحسن والحفظ في الفقه لمذهب الشافعي وكثرة التعصب للدولة التركية . والمحبة لطريق الله إلى آخر كلامه عفا الله عنهما » .

(الضوء اللامع ١ — ٢٥١ — ٣٥٩) .

ذكر السخاوى ، كما رأينا آنفا ، أن المقريزى كتب ترجمة الأوحدى مفصلا في « العقود ».ولعل المراد به « درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » . لم نقف مع الأسف على نسخة منه إلا قطعة كانت في مكتبة غوطا بألمانيا.وذكر السخاوى أيضا طبقات القراء لابن الجزرى ، وهو مطبوع . نرى فيه رفقاء الأوحدى في الدرس . فقال :

« عثمان بن عبد الرحمن فخر الدين البلبيسى . . . وقرأ عليه الأوحدى ، وعثمان بن ابراهيم بن أحمد البرهاوى ، ومحمد بن خليل المارعى ، وأحمد بن عمر الجملانى » . (طبقات ابن الجزرى ، مصر ١٩٣٣ ، ١-٥٠٦) .

وذكر ابن تغرى بردى (نشرة بوبر ، ٦-١٤ ، ٣٩) أيضا بعض أشعاره .

ومن صفات مخطوطتنا أن الناسخ يكتب دائما « ابن » . . في أول الاسم كان أو في وسطه ، وغيرناه إلى ما هو الصحيح ، ولم نذكره كل مرة في الحاشية . لا ندرى إذا كان هذا من الأوحدى ، أو ابن دقماق ، أو أحد غيرهما . والناسخ يخطيء كثيراً في النحو كما أنه يصحف كثيراً في الألفاظ .

موضوع الكتاب

ان القاضى الرشيد جمع في هذا الكتاب حكايات في :

هدايا الملوك وكبار الأمراء .

الولائم المشهورة .

الاعذارات والحذاقات

الأيام المشهودة والاجتماعات .

الغرائب الموجودات والذخائر المصونات .

الترك الموروثات ،

المغانم في الفتوحات ،

النفقـــات .

ثم زيادات الأوحدى . وأكثرها خرافات إيران ، نقلها عن كتاب مجهول الاسم — ولكن نجد أكثرها في مروج الذهب للمسعودى ، وكتاب الجماهر للبيرونى . ونقد مثلها البيرونى . وقال (ص ٧١ — ٧٢) : « وفي أخبار الفرس التى لا تخلو من زيادتهم لتفخيم أمر الأكاسرة وتفضيل ملكهم والمملكة لهم . . . وأما الخرافات المضحكة التى ربما يتلهى باستماعها فكثيرة عندهم جدا . ويكفى منها ما يتصل بهذا الذى نحن فيه وهو قولهم في أبرويز أنه خص بست عشرة خصلة أعجزت غيره وأعوزت عند من سواه . وتعديدها يمل ويخرج عما نحن فيه وبصدده » .

ان من تقدم القاضى ابن الزبير من المؤلفين جمعوا حكايات ومعلومات ضمن كتبهـــم . كالواقدى وابن سعد والبـــلاذرى وابن حبيب وابن قتيبة والمسعودى وابن الأثير والذهبي وغيرهم . والمعلومات عن العصر النبوى خاصة وافرة . قال المسعودى مثلا (مروج الذهب ٢ ـ ٤١٤) : « ولمصر أخبار عجيبة من الدفائن والبنيان وما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الأرض وغيرهم من الأمم ممن ســكن تلك الأرض — وتدعى بالمطالب إلى هذه الغاية — وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا » . وذكر أيضاً (التنبيه والاشراف . ص ٢٦٩) : « وقد أتينا على أخبار هؤلاء الرسل مع من أرسلوا إليه ورسل من كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك والأمم إلى هذا الوقت . وهو سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع . في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف » . وذكر الكتبى (فوات الوفيات ، طبع بولاق . ١ ـ ٤٥) : أن من تآليف المسعودى « كتاب خزائن الملوك وسر العالمين » . لعله أيضا يتعلق بهذا الموضوع .

ومن معاصرى المسعودى أخوان : أبو عثمان سعيد الخالدى (المتوفى ٣٥٠) .

وأبو بكر بن هاشم الخالدى (المتوفي ٣٨٠) وكان من متوصلى سيف الدولة . ألفا معاً « كتاب التحف والهدايا » يوجد له نسخ عديدة في استانبول ومصر . والباب العاشر فقط من ذلك الكتاب « في ذكر شئ من هدايا ملوك الأطراف للسلطان ومكاتبتهم اياه » . ولكنه أقرب إلى كتب الأدب . فقد ملئ شعراً ونثراً عما قيل في الهدايا .

ولكن لكتابنا فضل على غيره بناحيتين . أولا أن كتب السلف (مثل المسعودى) لم يصل إلينا منها . إلا القليل . وثانيا جمعت ههنا الحكايات التى هى مبعثرة عند غيره . وعلى هذا . فان مؤلفنا ينقل عن مصادر عديدة أبادها الدهر . مثل كتاب سيرة المكتفى بالله لعبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر طيفور . وكتب العلائى . وأبى محمد الفرغاني . وابن جدار المصرى ، ومحمد بن داود ابن الجراح . والحارث بن أبى اسامة . وأبى الفتح المطوق . وثابت بن سنان . وغيرهم .

ومما يجدر بالذكر أن ابن النديم حكى في كتابه . الفهرست . قصة برتا ملكة الافرنجة بغاية الاختصار . وحكاها الخالديان ملخصاً عن أبى بكر الوراق المراغى . أما مؤلفنا . فقد ذكرها عن مصدرين : سيرة المكتفى بالله لعبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر . وكتاب آخر لم يسمه . لعله وجد وثائق المراسلات فيما بين الملكة برتا والمكتفى بالله في ديوان الرسائل وقت إمارة مولاه أبى كاليجار . على كل حال لا يقال أنه نقل عن ابن النديم أو الخالديين . فان عندهم ايجاز . وههنا تفصيل .

الحكايات عن الجواهر غريبة . ولكن نجد أن البيرونى أيضاً يذكر بعضها . ويقول إنه شاهدها بعينه في خزائن مولاه السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى . فهذا يؤكد ثقتنا بما ذكره القاضى ابن الزبير .

وصف المخطوطة

المخطوطة الوحيدة التى عثرنا عليها هى في مكتبة أفيون قره حصار ، في تركيا . وهذه مزاياها :

(١) على اللوح . في الزاوية اليمنى ، فوق اسم الكتاب :

« الله حسبى . من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانى »

(٢) وتحته عنوان الكتاب في سطرين :

« كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك
وهو كتاب مليح مفيد (في با) به » .

(٣) وتحته اسم المؤلف ، بخط جديد كتبه مدون فهرسة مكتبة أفيون قره حصار لأن خطه وخط الثبت السادس المذكور أدناه واحد :

« للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله حسن الأوحدى المقرئ الشافعى » .

(٤) وتحته بخط خفى قديم ، في سطرين :

« بخط المولى ابراهيم بن محمد بن آيدمر العلائى
الشهير بابن دقماق » .

(٥) وتحته رقم التسجيل بالخط العربى ، لمكتبة أفيون قره حصار :

« ٧٠٢ عمومى ١٤ خصوصى » .

وكان كتب أولا « ٦٩٨ عمومي » ، ثم صححه . كأن العدد المتقدم الغلط لفهرسة قديمة سها فيها واضعها . والمراد بالعمومى هو رقم المخطوطة في المكتبة ، والمراد بالخصوصى رقمها في الفن .

(٦) وتحته باللغة التركية (بالخط العربى) ، في أربعة أسطر عبارة تشير إلى أن في المجموعة كتابا آخر أيضا :

« إخطار

٥٩ نجى صحيفه ده ابن أثير جزرى نك

تحفة العجائب وطرفه الغرائب

نام أثرى ده وار در » .

(٧) وعلى يساره خاتم كبير ، مطموس لا يقرأ ما فيه . لعله للواقف أحمد باشا كديك ، الذى تنسب إليه هذه المكتبة في بلدة أفيون قره حصار .

(٨) وتحته في أحد عشر سطراً :

« ملك هذا الكتاب – من فضل ربه الكريم – الواثق بالملك القوى المبين – الفقير محمد بن عبد الرحمن – صفى الدين – غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين – آمين – آمين آمين – تم » .

(٩) وتحته في أربعة أسطر :

« ثم صار إلى ملك الفقير إلى الله الحى الصمد – محمد بن أبي أحمد غفر الله له – ولوالديه بحرمة سيدنا وحبيبنا محمد – عليه من الله الصلاة السرمد » .

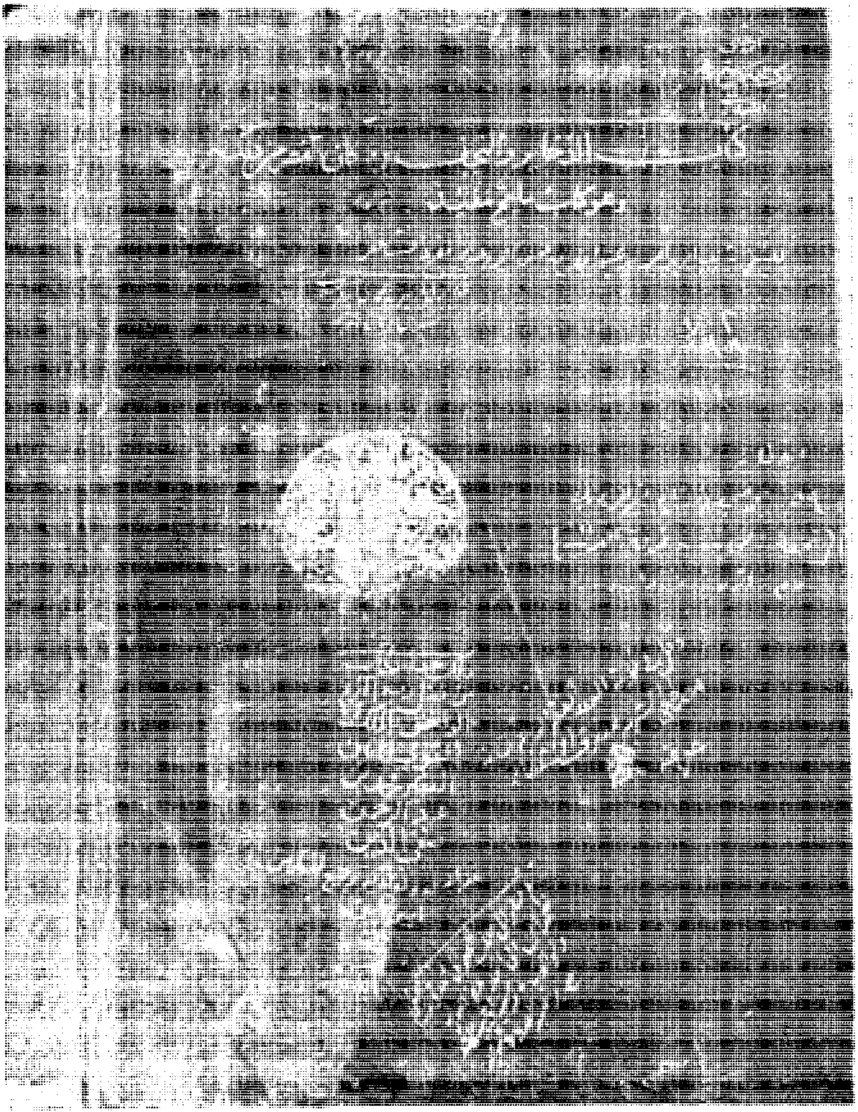
(١٠) وعلى يمين الثبت الثامن ، في ثلاثة أسطر :

« دخل في نوبة العبد الفقير إليه عز شأنه – مصطفى الشهير بمصرف السلطان – عفى عنه » . (ثم امضاوه « مصطفى ») .

(١١) وعلى الورقة المحاذية للوح ، في أربعة أسطر :

« حسبي الله وحده – من الكتب التى وقفها الفقير – إلى آلاء ربه ذى المواهب – مير أحمد بن الحاج مصطفى » .

أن كتابنا « الذخائر والتحف » ينتهى في المخطوطة على الورقة ٥٨ ـ الف.



نموذج الصفحة الاولى من كتاب الذخائر

وهناك بياض على ٥٨ ـ ب . وفي الورقة ٥٩ ـ الف وما بعدها : « نقلت من كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب — فصل في الملائكة — فصل في الأيام والليالى ذكر نباتات ، المقتبس من كتاب الفلاحة » . وهذا ينتهى على الورقة ١٥٩ ـ ب ، حيث كتب : « وهذا آخر ما انتهى إلينا من عجائب الدنيا . والله أعلم » . وتحته : « نظرت فيها في سنة اثنى سبعين (كذا) وتسعمائة نظرة ناظر ، محمد بن سليمان الأنقرى » .

وما عدا هذا ، لا يوجد أى ثبت أو ذكر في الكتاب ، لا في أوله ولا في أثنائه ولا في آخره ، عن تاريخ الاستنساخ أو شئ غير ذلك .

ومما يجدر بالذكر أن إحصائية المكاتب والمتاحف العمومية من المعارف المليــة Milli Egitim Genel Kitapliklar ve Müzelar Istatistikleri التى نشرتها وزارة المعارف بأنقره ، تقول إن في مكتبة كدك أحمد باشا في مركز أفيون قره حصار توجد من المخطوطات التركية ١٤٠ . والعربية ٩٥٦ ، والفارسية ٨٧ ،سوى ما توجد من المطبوعات . وأكثرها — لولا كلها — من وقف كديك أحمد باشا ابن الحاج مصطفى مصرف السلطان . رحمة الله تعالى عليهما .

أن دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) لم تذكر أحمد باشا كديك . ولكن الترجمة التركية لتلك الموسوعة زادت مقالا عنه . وذكرت أن أحمد باشا كديك كان من خواص السلطان محمد الفاتح . وكان الصدر الأعظم . وهو الذى عمر زاوية مولانا جلال الدين الرومى في قونية ، وبنى في أفيون قرة حصار عمارة ومدرسة . ومكتبته التى وقفها موجودة هناك إلى الآن . وتوفي في سنة ٨٨٧ هـ — ١٤٨٢ . أما كلمة كديك ، فمعناها الفرجة بين الأسنان وبين جدار الحصن . وهذا لقب له اشتهر به .

نهج التحقيق

اتبعنا في التحقيق النهج الذى وضع هذه السلسلة .

فقابلنا النصوص الواردة في هذا الكتاب بما يوجد منها في الكتب الأخرى . وشرحنا الألفاظ . ولم نكثر من التعليقات . ورمزنا في الحواشى إلى الأصل بحرف « ص » . وأغفلنا ذكر أخطاء الناسخ الواضحة ؛ كما أصلحنا أخطاء النحو الكثيرة ولم نشر إليها أحياناً لئلا نثقل الحواشي بأخطاء لا علاقة للمؤلف بها . وأردفنا أحياناً ما بان لنا خطأه أو عسر علينا تقويمه بكلمة (كذا) في المتن أو في الحاشية . وجعلنا للكتاب فهارس للأعلام . ولما كانت الألفاظ الحضارية التى يقدمها الكتاب وافرة فقد أفردنا لها فهرساً خاصاً .

ولا بد لى في الختام من أن أزجى جميل الشكر لصديقى الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد لتجشمه عناء قراءة الكتاب وتصحيح تجاربه ؛ ولدائرة المطبوعات والنشر في حكومة الكويت التى افتتحت سلسلة التراث بهذا الكتاب .

والحمد لله أولا وآخراً .

باريس — محمد حميد الله